شهادات واقعية

د. هبة رؤوف عزت[1]

أنا أثني على معظم ما ذكره المتحدثون السابقون، فقد سبقني ثلاثة متحدثين أخذوا معظم الأفكار التي كنت أريد أن أطرحها، وأنا لن أذكر أسماءً ولا شخصيات، أنما سأتحدث عن بداية تعرفي على العالم التركي أو الثقافة التركية التي بدأت في الحقيقة في القاهرة بالتلاقي مع بعض الطلاب الأتراك الذين صاروا منذ نهاية الثمانينيات حتى الآن متنفذين في بعض المؤسسات الإعلامية التي تديرها الحركة الآن، ولكن لفت نظري أيضا في أسفار مختلفة ومن التلاقي مع شباب من العالم التركي أمر أعتقد أنه هو جوهر الحركة وما يميزها عن حركات كثيرة وهو أول ما لفت أنظار الذين زاروا المؤسسات المختلفة ويمكن أن توجز في كلمة واحدة وهي الأدب... الأدب... الأدب.

هذا الأدب- وليس معناه شخصي أو فردي فقط- ولكن معناه استعادة البعد الأخلاقي الذي تتأسس عليه أي حركة اجتماعية أو حركة سياسية، صياغة الإنسان الذي ينتمي إلى هذه الحركة صياغة تجعله كما قال الأستاذ عصام سلطان، ود. حسن أبو طالب، ود. ناهد عز الدين، نموذجًا لكل المعاني التي يمكن أن يدركها الإنسان من القراءة متجسدة في أفراد هذه الحركة كل فرد على حدة. هذا التكامل الإنساني، هذه المصداقية، هذه الشفافية، هذه الدماثة، هذا التماسك النفسي والأخلاقي، أعتقد أنه كان أكثر ما لفت انتباهي حتى من الذين كانوا ينتمون إلى حركات متنوعة سابقة، وتعرفت عليهم حتى قبل معرفتي بحركة فتح الله كولن، والتقيتهم في أماكن مختلفة وفي مصر وغيرها، الحركة الإسلامية في تركيا تتميز بهذا كل أفرادها لديهم هذه الخاصية. وفتح الله كولن تمكن من أن يستثمر ذلك في بناء حركته ويخلق أصنافاً مختلفة من البشر.

أنا لن أقرأ حركة فتح الله كولن بحكم الخبرة التي اكتسبتها حين زرنا كثيرًا من

[1] مدرس العلوم السياسية -كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة.

مؤسساتهم، ولكن سأحاول دائمًا -لأني أعود من كل لقاء مع فرد، ومن كل زيارة لبلد أو مؤسسة من البلدان بهمي، بهمي العربي بالأساس- أنا أعتقد أن حركة كولن بدون أن نضخم فيها بشكل أسطوري، أنا أعتقد أن لها ما لها وقد يكون عليها أيضًا ما عليها، وليس الهدف تمجيدها وإنما الهدف هو دعمها من أجل أن تكتسب الحوارات مزيدًا من الأفكار والدعم المتبادل، هي وريثة الحركات الإسلامية في العالم العربي التي أخفقت إخفاقًا بيِّنًا في أن تحقق ما حاولت حركة كولن أن تفعله، وليس الفكرة أن هناك انتقالاً للسلطة في التجديد والنهضة للعالم التركي بالضروري؛ لأن هناك عوالم أخرى؛ هناك العالم الماليزي، الذي لو نظرنا أيضًا في تجربته لوجدنا فيها استشرافًا، ليس فقط في المؤسسات ولكن أيضًا للدولة كدولة... في زيارة مثلاً للعاصمة الجديدة "بوتراجاي" لماليزيا نظرنا كيف نظر مهاتير محمد لمستقبل عاصمة يمكن أن يدخل بها إلى قرون مختلفة كما لو بناها لألف عام، مستقبل نظام سياسي حاول أن يصوغه وكان له أخطاء نستطيع أن ننظر فيها. هناك محاولات أخرى في العالم، أو في المساحة الإيرانية ولكن تحجِّمنا المشكلات السياسية عن التفكير المتأمل الحقيقي المفتوح الثقافي في حلقة مثل هذه غالبًا ما تكون رؤيتنا لها إستراتيجية أو تحليلاتنا سياسية، ولكن ما الذي فعلته الثورة الإيرانية في جهود النهضة وبناء المؤسسات وإنتاج الأفكار والمزج بين الديني والسياسي والاقتصادي، والقيام بدور إقليمي، هناك كثير من الدروس.

لكن الدرس الأكثر مرارة هو: ما الذي حدث لدينا في العالم العربي مما جعلنا نتراجع عن أن تكون لنا هذه الريادة، فيستبدل الله ﷻ بنا قوما غيرنا، ونتأمل في مرآة الحركات المختلفة، منها حركة كولن في تركيا كي نرى فيها في الحقيقة أخطاءنا وتقصيرنا وتراجعنا لأسباب مرتبطة بصياغة الإنسان، بالتحزب الشديد في الحركات المختلفة التي نشدت النهضة، بالغرق في نزاعات تاريخية لم يكن لها أي جدوى، بحجب جهود الشباب وإقصائهم من قبل حرس قديم هو الذي يحكم ويهيمن، عدم تلاقح الأفكار والتواصل، عدم تكريس البعد الوطني في كثير من الجهود والتركيز على البعد التنظيمي، غياب التربية المتكاملة، عدم التخصصية والاحتراف. في حركة

فتح الله كولن الصحفيين هم الذين يعملون في الصحافة، أهل الخبرة وليس أهل الثقة بالضرورة». قد يكون في المؤسسة من ينتمون إلى الحركة لكن فيها أيضًا استقطاب لكثير من الكوادر الهامة والمتميزة في المجال بغض النظر عن الانتماء للحركة هناك احترافية (professionalism) نتوجه إلى النقابات ونؤسس عملاً نقابيًا ونطوره ليصبح له أبعاد دولية وينظر إلى المستقبل بآفاق حضارية ولا نحبس العمل النقابي في هموم حزبية أو مصالح ضيقة أو شعارات سياسية، احترام أن المساحة التي تدخلها حركة من الحركات لها منطقها ولها قواعدها ولها قوانينها وبالتالي نستطيع أن نضيف إليها بعدا سياسيا ولكن لا نسرق المساحة لصالح أغراض سياسية أو أغراض حزبية.

كيف نرى في حركة كولن أخطاءنا أو تقصيرنا؟ هذا ما نحتاج أن ندرسه، بدءًا من النظر في بناء الفرد، كيف تحركنا في المجالات الثقافية السياسية والاجتماعية والإعلامية والفنية بهذا القدر من اللاسيميترية الذي كان سائدًا في كثير من الأحيان، ثم أيضًا تمكين المرأة والشباب في داخل الحركة والتركيز على البعد الأخلاقي وليس رأب الصدوع بإهالة التراب عليها ضمانا للولاء وليس دفعًا للأهواء، وغيرها من الأشياء التي اتضحت.

قدم الدكتور حسن أبو طالب فكرة، ركزت عليها ناهد عز الدين، قال إنه تنظيم ولا تنظيم في نفس الوقت؛ أي إن هناك تراوحًا بين الأداء الذي يعكس وجود تنظيم قوى وفي نفس الوقت المرونة في التعامل مع المستجدات والحوادث والتحرك في قطاعات مختلفة بما يعكس هذه القدرة أو الطاقة على الحركة في مجالات مختلفة، وسمتها د. ناهد الشبكية. أنا أعتقد أن الروح التي تسري والتي ذكرها الأستاذ عصام سلطان هي الحاكمة وأنه علينا أن ننظر في أوطاننا المختلفة التي تجتمع في هذه القاعة، حيث جاء الكثير من الإخوة العرب من أماكن مختلفة، وفي حركاتنا المختلفة التي تجمعها هذه القاعة، وأنا أرى وجوه من حركات أعرفها، حركات اجتماعية وسياسية وتجديدية إسلامية متنوعة ومؤسسات مختلفة. ما الذي دفعنا إلى هذه النقطة من التفكك والتشرذم وعدم وجود مصداقية لأفرادنا في المجال العام، وعدم وجود فاعلية لمؤسساتنا؟ في

مقابل جهود بذلت في هذا المجال ونجحت في أكثر من تجربة مثل حركة فتح الله كولن، كي نستطيع أن نخرج في هذا اليوم الأخير ببعض الدروس ليس فقط على المستوى الفكري أو الثقافي أو التحاوري وإنما بدءًا من بناء الإنسان إلى بناء الوجدان إلى بناء مستوى العرفان إلى بناء مستوى الجنان والعقل والفكر والثقافة، إلى بناء المؤسسات والبنيان، إلى الحركة من أجل صياغة نموذج العمران.